# القواعد الأربع

## تأليف

شيخ الإسلام، الإمام المجدد

محمد بن عبدالوهاب التميمي

(١١١٥-١٢٠٦ هـ)

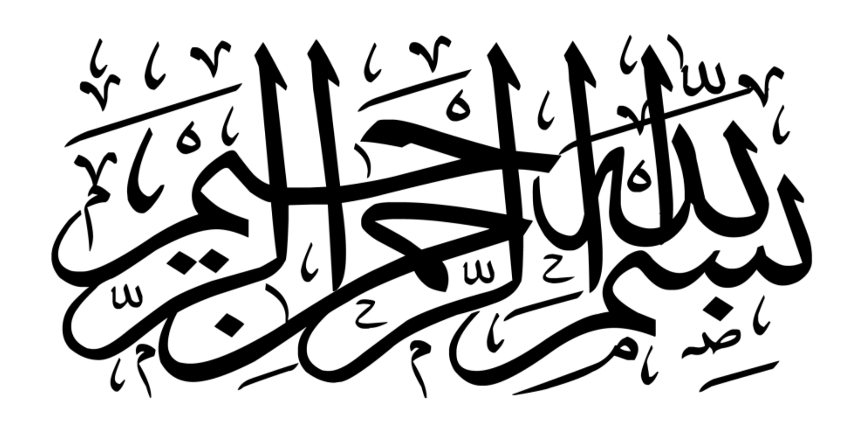
(رحمه الله تعالى)

## شرح

عمر بن محمد علي بن محمد خير

**تقديم** فضيلة الشيخ : عبد المالك بن أحمد رمضاني




بسم الله الرحمن الرحيم

(كبوشية) : عمر بن محمد علي
شرح القواعد الأربع
٣٠ صفحة – ١٧.٨ × ١١ سم




بريد إلكتروني : **daralhuga@hotmail.com**
جوال : ٠٠٢٤٩٩٢٧٧٧٩٩٩٨



الطبعة الأولى ١٤٣٨ هـ – ٢٠١٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله ومن اهتدى بهداه.

وبعد، فقد اطلعت على شرح الأخ الفاضل الشيخ: عمر بن محمد كيواشية للكتاب العظيم «القواعد الأربع» وقد أتى فيه بعيون مسائله جزاه الله خيراً، وغفر لمؤلفه، ونفع الله به.

كتبه عبد المالك بن أحمد رمضاني
الخرطوم في ٢٩ جمادى الأولى ١٤٣٧هـ

**بسم الله الرحمن الرحيم**

مقدمة فضيلة الشيخ عبد المالك رمضاني الجزائري

الحمد لله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله ومن اهتدى بهداه .

وبعد ، فقد اطلعت على شرح الأخ الفاضل الشيخ : عمر بن محمد كبوشية للكتاب العظيم " القواعد الأربع" وقد أتى فيه بعيون مسائله فجزاه الله خيراً ، وغفر لمؤلفه ، ونفع الله به.

كتبه عبد المالك بن أحمد رمضاني

الخرطوم في ٢٩ جمادى الأولى ١٤٣٧ هـ

## مُقدِّمةُ الشَّارِحِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ، ونستغفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مِنْ يَهِدِّ اللهُ فَهُوَ المهتدِّ ، وَمِنْ يُضَلِّلْ ، فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلْياً مُرْشِدًا ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلّا اللهُ ، وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ محمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ (١) قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ (٢) قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ (٣).

**أمَّا بعدُ:**

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب الآية: ٧٠-٧١.

فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ – فِي هَذِهِ العصور – يُعَايِشُونَ ذلاً وَقَهْرًا ، وَيُعَانُونَ جُوعًا وَفَقْرًا ، وَقَدْ طَالَ اِنْتِظارُهُمْ لِرُؤْيَةِ هَلاَلِ النَّصْرِ وَالتَّمْكِينَ ، حَتَّى تَزَعْزَعَ عِنْدَ ضعفائِهِمْ الْيَقِينِ ، وَاخْتَلَفَتْ أَنْظَارُ النَّاسِ فِي طُرُقِ الْخلاصِ ، فَسَلَكَ غُلاَتُهُمْ طَرِيقِ الْمَارِقِينَ مُسْتَبِيحِينَ دِماءَ الْمُسْلِمِينَ ، فَكَانُوا لِدَيْنِ اللَّهِ مِنْ عُدَاتِهِ ، وَقَدْ عَدُوا أَنَفْسَهُمْ مِنْ دُعَاتِهِ ، كَمَا سَلَكَ جُفَاتُهُمْ مَسْلَكِ الْعَلْمَانِيَّةِ ، وَزَعَمُوا أَنَّ هَذَا الدِّينَ سَبَبُ التَّخَلُّفِ وَالرَّجْعِيَّةِ ، وَبِهَذَا يُفَارِقُونَ الْمِلَّةَ الْحَنِيفيَّةَ و الشِّرْعَةَ الْإِسْلامِيَّةَ . وَالسَّبَبُ فِي غُلُوِّ أُولَئِكَ وَجَفَاءِ هَؤُلَاءِ طَائِفَةٌ سَبَقَتْهُمْ إِلَى الدِّينِ تَنسَّكوا وَتَعَبَّدُوا بِجَهْلٍ عَمِيقٍ فَسَلَكُوا فِي هَذَا الطَّرِيقِ ، طَرِيقَ الْمِلَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ الَّذِينَ إِذَا مَاتَ فِيهِمْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا ، ثُمَّ صَوِرُوا فِيه تِلْكَ الصُّورَ ، أُولَئِكَ شَرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ . هَذَا وَصَفُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ لِأَهْلِ الْكِتَابِ قَبْلَنَا. هَؤُلَاءِ هُمْ الْآبَاءُ فَوَلَدُوا مِنْ أصلابِهِم ، وَتَوَلَّدَ مِنْ أَفْكَارِهِمْ ذَانِكَ الْولدانِ أَعْنِي الْخَارِجِيَّ وَالْعَلْمَانِيَّ وَكُلُّهُمْ يَبْحَثُونَ وَ فِي بَحْثِهم يَتَخَبَّطُونَ عَنْ سَبِيلِ الْعِزِّ وَالتَّمْكِينَ . وَإِنَّ الْقَلْبَ لَيَعْتَصِرُ أَلَماً لِمَنْ يَمُوتُ عَطَشاً وَالْمَاءَ بَيْنَ يَدِيهِ وَأَشِدُّ مِنْ هَذَا مِنْ يَتِيهُ فِي الضَّلاَلَةِ وَالْهُدى بَيْنَ عَيْنِيهِ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥ ﴾ [سورة النور].وُعَدَ اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ – وَهُوَ لَا يُخَلِّفُ الْمِيعَادَ – طَائِفَةً مِنْ عِبَادِهِ اِتَّصَفْتِ بِوَصْفَيْنِ هُمَا الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ وَوَعْدَهُمْ بِثَلاثَةِ أَشْيَاءَ هِي الاستخلافُ فِي الْأَرْضِ، وَالتَّمْكِينُ لِدَيِّنِهِمْ الَّذِي اِرْتَضَاهُ لَهُمْ وَأَنْ يَأْمَنُوا مِنْ كُلُّ خَوْفٍ. وَالْفِعْلَ فِي

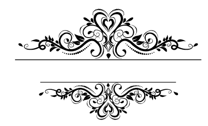
هَذِهِ الْوُعُودِ الثَّلاثَةُ سبقتُهُ لاَمِ الْقِسْمِ وَلِحَقَّتِهِ نُونِ التَّوْكِيدِ فَلَا يُخَالِجْكَ أَدْنَى شَكٍّ فِي وَفَاءِ اللهِ بُوعِدَهُلكن هذا الوعد الصادق المؤكد مشروط بشرط يتكون من ركنين هما عبادته وعدم عبادة غيره بينه الله بقوله ( يعبدونني ولا يشركون بي شيئا) ومتى تخلف هذا الشرط تخلف المشروط فكان الذل والهوان وتسلط الأعداء وعدم الأمان في الدنيا. أما في الآخرة فالخلود في النار وحرمان شفاعة سيد الأبرار.

وأمر بهذه المنزلة خطراً ، لجدير بالمسلم أن يحذره ويتوقاه ، ولا سبيل لذلك إلا بمعرفته إياه ، فإنّ كثيراً من الواقعين في الشرك ينفون وجوده في هذه الأمة ، أقول كيف تنفي أمراً لا تعرفه ؟

ومن هنا فقد وضع الإمام الناصح محمد بن عبد الوهاب كتابه القواعد الأربعة في معرفة الشرك وليس لهذه القواعد مصدر سوى كتاب الله، وقد وضع بين يديها مقدمة في تزكية النفوس تشهد على الدعاة الحركيين الذين قالوا في كتب العقيدة جفاء بالكذب والافتراء. وفي مثل هذا قيل: من تكلم في غير فنه أتى بهذه العجائب.فلا أدل على بعدهم من كتب العقيدة من هذا الكلام.

وكتب العبد الفقير إلى توفيق العلي عمر بن محمد علي غفر الله له ولوالديه ومشايخه وللمسلمين .

في الثاني من شهر ربيع الأول سنة ١٤٣٨هـ



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَرْجَمَةُ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ – رحِمَهُ اللَّهُ –[1]:

هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ سَلِيمَانِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ الْوَهَيْبِيُّ التَّمِيمِيُّ.

مَوْلِدُهُ: وُلِدَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ فِي مَدِينَةِ العُيينة سَنَةِ ١١١٥هـ .

أُسْرتُهُ : نَشَأَ الشَّيْخُ فِي أُسْرَةٍ مَعْرُوفَةٍ بِالْعِلْمِ ، فَجَدُّهُ سَلِيمَانُ بْنُ عَلِيٍّ أَشْهَرُ الْعُلَمَاءِ فِي عَصْرِهِ ، وَعَمُّهُ إبراهيم عَالِمٌ جَلِيلٌ، وَوَالِدُهُ كَانَ ذَا بَاعٍ طَوِيلٍ فِي الْفِقْهِ ، بقِيَ قَاضِياً مُدَّةً طَوِيلَةً فِي العُيينة.

نَشأْتُهُ : كَانَ الشَّيْخُ – رحِمَهُ اللَّهُ – مُنْذُ نُعُومَةِ أَظْفارِهِ متفوقاً فِي الذَّكاءِ، وَقَدْ حفِظ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَعُمَرُهُ أَقَلُّ مِنْ عشرِ سِنَّيْن ، ثُمَّ دَرَسَ الْفِقْهَ الْحَنْبَلِيَّ عَلَى وَالِدِهِ ، وَقَدْ أُعْجِبَ وَالِدُهُ بِذَكائِهِ الطَّامِحِ وَمَوَاهِبِهِ ، بَلَغَ مَبْلَغَ الرِّجَالِ وَهُوَ اِبْنُ اِثْنَيْ عَشَرَ عَاماً ، وَزَوَّجَهُ أَبُوهُ فِي الْعَامِ نَفْسِهِ ، ثُمَّ أَدَّى فَرِيضَةَ الْحَجِّ ، وَأَقَامَ شَهْرَيْنِ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ ، ثُمَّ رَحَلَ وَاشْتَغَلَ بطَلَبِ الْعِلْمِ حَتَّى أَنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ عِشْرِينَ صَفْحَةً فِي جَلْسَةٍ وَاحِدَةٍ .

---

(١) انظر كتاب: ( محمد بن عبد الوهاب مُصْلِح مظلوم ومُفترى عليه )، تأليف الأستاذ: مسعود النَّدْوي، ترجمة وتعليق: عبد العليم عبد العظيم البُستوي، مراجعة وتقديم الدكتور: محمد تقي الدين الهلالي، من مطبوعات وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد عام: ١٤٢٠هـ.

رَحَلَتُهُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ : قَصَدَ الشَّيْخُ – رحِمَهُ اللهُ – الْحجازَ وَهُوَ فِي الْعَشْرَيْنِ مِنْ عُمُرِهِ ، وَحَطَّ رَحلَهُ بِالْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ ، وَاِسْتَفَادَ مِنَ الشَّيْخِ عَبْدِ اللهِ بْنِ إبراهيمَ بْنِ سَيْفٍ ، ثُمَّ تَعَرَّفَ – رحِمَهُ اللهُ – بالشَّيْخِ مُحَمَّدِ حَيَاةِ السَّنَدِيِّ ، وَكَانَ مِنْ عُلَمَاءِ الْحديثِ ، وَأَخَذَ الْكُتُبَ السِّتَّةَ مرَّتَيْنِ ، مَرَةً عَنِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللهِ بْنِ إبراهيم ، وَمَرَةً عَنِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ حَيَاةِ السَّنَدِيِّ . وَهُوَ فِي مَثَانِي الطَّلَبِ كَانَ – رحِمَهُ اللهُ – مُولَعاً بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ ، وَكَانَ يُنْكِرُ مَا يَرَاهُ مِنَ الْبِدْعِ عِنْدَ الْحُجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الْبصرةِ فِي دِرَاسَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، فَدَرَسَ هُنَالِكَ عَلَى الشَّيْخِ مُحَمَّدِ الْمَجْمُوعِيِّ ، وَلَمَّا كَانَ نَهَّاءً عَنِ الْمُنْكِرِ طَرْدُهُ الْأشقياءُ مِنَ الْبصرةِ فِي وَقْتِ الظَّهيرَةِ ، فَخرجَ مِنْهَا وَلَقيَهُ فِي الطَّرِيقِ رَجلٌ اسْمُهُ أَبو حَمِيدَانَ ، فَأَرْكَبَهُ حِمَارًا لَهُ حَتَّى أَوصَلَهُ إِلَى مَدِينَةِ الزُّبَيْرِ ، وَكَانَ يُرِيدُ الشامَ طَلَباً لِلْعِلْمِ لَكِنْ نفِدَ الْمَالُ الَّذِي عِنْدَه فَرَجَعَ إِلَى حُرَيْمِلاءِ وَهُوَ عَازِمٌ عَلَى نَشْرِ التَّوْحِيدِ وَاِسْتِئْصَالِ الْبِدْعِ.

أَبْرَزُ سِمَاتِ عَصْرِ الشَّيْخِ :

كَانَتْ بِلادُ نَجدٍ قَبَائِلَ وَدُوَيْلَاتٍ مُتَنَافِرَةً ومتناحرةً ، وَكَانَ الْجَهْلُ متفشياً وَالشِّرْكُ مُنْتَشِرًا ، وَالْخُرَافَةُ ضَارِبَةً بِأَطْنَابِهَا فِي جَمِيعِ نَواحِي الْجَزِيرَةِ. وَكَانَتْ كُلُّ مَدِينَةٍ فِيهَا تَتْبعُ لاميرٍ. فَعَزَمَ الشَّيْخُ عَلَى تَوْحِيدِ الْبِلادِ حَتَّى يُسَاعِدَ ذَلِكَ فِي نَشَرِ الدَّعْوَةِ ، هَذِهِ الافْكَارُ دَعَتْهُ إِلَى مُكَاتَبَةِ أَميرِ العُيينة عُثْمانَ بْنِ مَعْمَرٍ

وَلَمَّا وَجَدَ الاميرَ مستعداً اِنْتَقَلَ إِلَيه بِنَفْسِهِ فَأَكَرَمَ الأميرُ الشَّيْخَ ، وَتَزَوَّجَ بِجَوْهَرَةِ بِنْتِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَعْمَرٍ ، فَتوَطَّدَتْ الْعَلاقَاتُ أَكْثَرَ ، وَقَالَ الشَّيْخُ لِلاميرِ :( إِنِّي لارْجُو إِنْ أَنْتَ قِمْتَ بِنَصْرِ لَا إِلَهَ إِلّا اللهُ أَنْ يُظْهِرَكَ اللهُ تَعَالَى ، وَتَمْلِكُ نَجْدًا وَأَعْرابَهَا ). أَبْدَى عُثْمانُ بْنُ مَعْمَرٍ الْمُوَافَقَةَ فِي أَوَّلِ الامْرِ ثُمَّ أَنَّهُ تَرَاجَعَ لَمَّا كَاتَبَهُ مُلُوكُ الْإِقْلِيمِ حِينَ سَمِعُوا بِدَعْوَةِ الشَّيْخِ ، وَكَانَ سَبَبُ سَمَاعِهِمْ أَنَّهُ هَدَمَ قُبَّةً يَقُولُونَ إِنَّهَا كَانَتْ عَلَى قَبْرِ زَيْدٍ بْنِ الْخِطَابِ ، وَرَجَمَ زانِيَةً مُحْصَنَةً فَأَحْدَثَتْ لَهُ هَاتَانِ الْقَصَّتَانِ صَيِّتًا ، كُلُّ ذَلِكَ كَانَ بِمُوَافَقَةِ الاميرِ عُثْمانَ بْنِ مَعْمَرٍ ، وَلَمَّا أصْغَى عُثْمانُ بْنُ مَعْمَرٍ لِمُلُّوكِ الْإِقْلِيمِ تَرددَ كَثِيرًا فِي أَمْرِ الشَّيْخِ فَآثَرَ أَنْ يَطْرُدَهُ مِنَ الْبَلَدِ ، وَقَدْ أَوعَزَ إِلَيه مُلُّوكُ الْإِقْلِيمِ بِأَنْ يَقْتُلَهُ لَكِنَّه اِكْتَفَى بِطَرْدِهِ ، وَأَرْسِلَ إِلَيه رِسَالَةً يَأْمُرُهُ فِيهَا بِالْخُرُوجِ ، فَخَرَجَ الشَّيْخُ مَعَ جُنْدِيٍّ يُسَمَّى فَرِيدَ الظُّفَيرِيَّ ، مَشَى الشَّيْخُ رَاجِلًا وَالْجُنْدِيُّ وراءَهُ رَاكِبَاً وَهُوَ يُرَدِّدُ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾[1] تَوَجَّهَ الشَّيْخُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الدَّرْعِيَّةِ وَنَزلْ عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سُوَيْلِمٍ أَحدِ أَعْيانِهَا ، وَهُوَ هُنَاكَ فِي بَيْتِ اِبْنِ سُوَيْلِمٍ كَانَ يَأْتِيهِ أخوا مُحَمَّدٍ بْنِ سُعُودِ أَميرِ الدَّرْعِيَّةِ مُشارَي وَثَنيَان ، وَصَارَ بَيْتُ اِبْنِ سُوَيْلِمٍ هَذَا مَرْكَزًا لِدَعْوَةِ التَّوْحِيدِ ،

(١) سورة الطلاق الآية: ٢.

وَكَانَ النَّاسُ يُؤَمُّونَهُ مُتَسَتِّرِينَ ، ثُمَّ عَزَمَ الشَّيْخُ أَنْ يَتَّصِلَ بِالاميرِ فَكَلَّمَ إِخْوَتَهُ ، فَكَلَّمَا زَوْجَةَ الاميرِ وَكَانَتْ اِمْرَأَةً ذَكِيَّةً مُتَدَيِّنَةً ، فَقَالَتْ لِلْأميرِ :

( إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ أَتَى إِلَيكَ وَهُوَ غَنِيمَةٌ سَاقِهَا اللهِ لَكَ فَأَكْرِمْهُ وَعَظِّمْهُ وَاغْتَنِمْ نُصْرَتَهُ ) ، وَلَمَّا اَلتقيَا عَرْضَ عَلَيهِ الشَّيْخُ أَهمَ أُصولِ دَعْوَتِهِ وَبَشَّرَهُ الاميرُ بِالنُّصْرَةِ لَكِنَّه اشْترطَ شَرْطَيْنِ : الاوَّلُ : إِذَا قُمْنا بِنُصْرَتِكَ وَفَتحَ اللهُ عَلَيكَ الْبِلادَ أَلَا تَرْتَحِلْ عَنَّا .

الثَّانِي : أَنَّ لِي عَلَى أهل الدِّرْعِيَّةِ قَانُونًا آخذه مِنْهُمْ وَقْتَ الثمَّار فَأَخَافُ أَنْ تَمْنَعَنِي مَنْ أَخَذِهِ ، فَبَايَعَهُ الشَّيْخُ عَلَى الْأوْلِ

وَقَالَ :( أَمَّا الثَّانِي فَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يَفْتَحَ عَلَيكَ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهَا ). فَاجْتمَعْتِ الْحُجَّةُ وَالْبُرْهَانُ وَالسَّيْفُ وَالسِّنَانُ فَظهرَتْ دَعْوَةُ التَّوْحِيدِ الَّتِي نَجْنِي بَعْضَ ثمَّارِها الْآنَ

.مُؤَلِّفَاتُ الشَّيْخِ : ١–كِتَابُ التَّوْحِيدِ ، وَهُوَ الَّذِي نَحْنُ بِصَدَدِ شَرْحِهِ ، وَاسْمُهُ بِالْكَامِلِ (كِتَابُ التَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ حَقُّ اللَّهِ عُلِيَ الْعَبِيدُ ). ٢ – كُشِفُ الشُّبْهَاتُ . ٣ – ثلاثَةُ الْأُصولِ. ٤ – الْقَوَاعِدُ الارْبَعَة . ٥ – شُرُوطُ الصَّلاةِ وَأَرْكَانِهَا . ٦ – أَصُولُ الْإيمَانِ . ٧ – فَضْلُ الْإِسْلامِ . ٨ – الْكبائرُ . ٩ – نَصِيحَةُ الْمُسْلِمِينَ . ١٠ – سِتَّةُ مَوَاضِعِ مِنَ السّيرَةِ . ١١ – تَفْسِيرُ الْفَاتِحَةِ .

١٢ – مَسَائِلُ الْجَاهِلِيَّةِ . ١٣ – مُخْتَصَرُ السّيرَةِ ، وَغَيْرَهَا كَثِيرٌ .

تَمْتَازُ مُؤَلَّفَاتُ الشَّيْخِ بِمُمَيِّزَاتٍ كَثِيرةٍ أُهِمُّهَا : ١ – سُهولَةُ عِبارَتِهَا ، ٢ – كَثْرَةُ أدلتِهَا ، ٣ – أهَمِّيَّةُ مَوْضُوعَاتِهَا ، ٤ – اِخْتِصَارُهَا .

ثنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيه : مِمَّنْ أَثْنَى عَلَى الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْإمَامُ الصنعاني – رَحِمَهُ اللهُ –[٢] صَاحِبُ كِتَابِ سُبُلِ السّلامِ فِي قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ[٣] يَقُولُ فِي مَطْلَعِهَا :

سلامِي عَلَى نَجْدٍ وَمِنْ حَلَّ فِي نَجْدِ *** وَإنْ كَانَ تَسْلِيمِي مِنَ الْبُعْدِ لَا يُجْدِيَ

إلى أَنْ قَالَ :

وَثَانِيهُمَا الشَّيْخُ الْإمَامُ مُحَمَّدٌ *** بَدَا فِي رُبا نَجْدٍ ضياءً لمستهدي

فَجَدِّدَ دِينَ اللَّهِ بَعْدَ دثورِهِ *** فَزَالَ ظَلامَ الشَّركِ وَالْفتنةِ المرْدي

زُهْدُهُ وَتَعَبُّدُهُ: قَلَّمَا تَقْرَأُ تَرْجَمَةَ مُجَدَّدٍ غَيَّرَ مَجْرى التَّأْرِيخِ أَوْ مُصَلِّحٍ أَصلحَ اللَّهُ بِهِ الْبِلادَ وَالْعبادَ إلّا وَجِدَّتَهُ متصفاً بِصَفَتَيْنِ اثنتين الْأوْلَى أَنْ يَكُونَ مَنْ أهْلِ اللَّيْلِ فَإِنَّ الْمُصَلِّحَ يُصْلِحُ شَأْنهُ قَبْلَ إِصْلاحِ الآخرين فَتقَوِي صِلَتُهُ أَوَلا بِمَنْ أَزْمَةُ الْأُمُورِ بِيدَهُ – سبحانه –

---

(٢) ولد بصنعاء سنة ١٠٩٩هـ وتوفى في شعبان سنة ١١٨٢هـ، وكان إماماً جليلاً .

(٣) و هي تسعة وثلاثون بيتاً مذكورة بتمامها في كتاب " عنوان المجد في تاريخ نجد" ٩٥/١ في حوادث سنة ١٢٠٦هـ.

فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ بِقِيَامِ اللَّيْلِ حين حمّلَهُ دَعْوَةَ التَّوْحِيدِ فقال: ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ٥ ﴾ (١)

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّطِيفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللَّطِيفِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حسنٍ "كَانَ الشَّيْخُ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ متعبداً يُحَيِّي غَالِبَ اللَّيْلِ صَلاةً وَقَرَّاءةً وتهجداً " (٢)

و الْخَلَّةُ الثَّانِيَةُ مِنْ صِفَاتِ الْمُصَلِّحِينَ الْعِفَّةُ وَالزُّهْدُ فَإِنَّ النُّفُوسَ جُبلَتْ عَلَى مَحَبَّةِ مِنْ يُؤْثَرُهَا وَلَا يُنَافِسُهَا فِي مَحْبُوبِهَا وَقَدْ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّطِيفِ عَنِ الشَّيْخِ الْإمَامَ "كَانَ مَعَ هَذَا متعففاً متورعاً لَا يَأْكُل مِنْ بَيْتِ الْمَالِ إلّا بِالْمَعْرُوفِ ، وَبَيْتُ الْمَالِ فِي يَدِهِ وَرَهْنُ تَصَرُفِهِ ، وَكَانَ سخياً جَوَادًا" (٣)

وَفَاةُ الشَّيْخِ – رحِمَهُ اللهُ -: تُوُفِّي الشَّيْخُ فِي شَوَّالٍ أَوْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ١٢٠٦هـ . ورَثَاهُ الْإمَامُ الشوكاني (٤)–رحِمَهُ اللهُ – فِي قَصِيدَةٍ مَطْلَعُهَا (٥):

(١) سورة المزمل.

(٢) مشاهير علماء نجد : ص ٢٧

(٣) المصدر السابق

(٤) هو محمد بن علي بن الشوكاني فقيه مجتهد من كبار علماء صنعاء اليمن، ولد بهجرة شوكان من بلاد خولان باليمن ونشأ بصنعاء، وولي قضاءها سنة ١٢٢٩ هـ ومات حاكماً بها.

(٥) راجع كتاب أثر الدعوة الوهابية في جزيرة العرب، ص:٨٠،٧٩.

مَصابٌ دَهَى قَلْبِي فَأَذْكَى غَلائِلِي *** وأصمى بِسَهْمِ الافتجاعِ مُقَاتِلِي

مَصابٌ بِهِ الدُّنْيا قَدْ اِغْبَرَّ و جهُهُا *** وَقَدْ شمِخَتْ أَعْلامُ قَوْمٍ أُسَافِلِ

لَقَدْ مَاتَ طَوْدُ الْعِلْمِ قُطْبُ رَحَى الْعُلا *** وَمَرْكَزُ إِدْرَاكِ الفضول الْأفاضلِ

قال الإمام رحمه الله : ( بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

ابتدأ كتابه بالبسملة اقتداءً بالكتاب العزيز، واقتداءً بالنبي عليه الصلاة والسلام في كتاباته. (بِسْمِ) : الجار والمجرور متعلق بفعل محذوف مناسب للمقام لأنَّه أدل على المقصود ، وتقديره هنا بسم الله أكتب.

(اللهِ) قال سيبويه: "أعرف المعارف"؛ لذلك تأتي الأسماء كلها تابعة له، وهو مشتق على الصحيح من الإله ومعناه المعبود الحق.

(الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ):اسمان دالان على اتصاف الله بالرحمة، فالأول يدلُّ بوزنه على سعة رحمته، والثاني يدُّلُ على تعديها.

قوله رحمه الله:( أَسْأَلُ اللهَ الْكَرِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَوَلاكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ) الْكَرِيمَ هُوَ الْكَثِيرُ الْخَيْرِ الجَوادُ المعطِي الَّذِي لَا يَنْفَدُ عَطاؤه.

(رَبَّ الْعَرْشِ) الرَّبُّ لغة: السيِّد، ربُّ الدار: سيدها وشرعاً: هو الخالق المالك المدبر.والْعَرْشُ لغة: سرير الملك وشرعاً: هو سقف المخلوقات.

(الْعَظِيمِ): وصف الإمامُ المصنفُ العرش بأنه عظيم، لما جاء في الخبر عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: "ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة" أخرجه ابن جرير في تفسيره وصححه الألباني في السلسلة برقم: ( ١٠٩ ).

قوله رحمه الله:( أَنْ يَتَوَلاكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة): يتولاك في الدنيا يقوم بأمرك ويكفيك حاجتك ويصلح لك دينك فيقيك السيئات ويوفقك للطاعات وتولي الله لعبده يعني

صلاحه فإن الله لا يتولى سواهم قال تعالى ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف]

قوله رحمه الله:(وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ) البركة هي ثبوت الخير الإلهي في الشيء وزيادته ومما قاله المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾[سورة مريم: ٣١] آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر أينما كنت .

قوله: (وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ) العطاء فتنة واختبار؛ قال تعالى في خبر سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾[سورة النمل].

والشكر ثلاثة أركان:

١- اعتراف القلب أن النعمة من الرب.

٢- تسخيرها في طاعة الله.

٣- الثناء على الله باللسان بسببها.

قوله رحمه الله:(وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ) البلاء يشمل الخير والشر؛ قال تعالى:﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[سورة الأنبياء: ٣٥]وإنما خُصَّت المصائب باسم البلاء؛ لاستشعار العبد ذلك، بخلاف النعمة فإنه لا يستشعر عندها البلاء .

الصبر لغة: الحبس وشرعاً: هو حبسُ النفس على أحكام الشرع ، وقال إبراهيم الخواص: " هو الثبات على الكتاب والسنة ".

قوله:( وَإِذَا أذَنبَ اسْتَغْفَرَ ) الاستغفار: هو طلب المغفرة، والمغفرة هي الستر والتجاوز.

قوله:(فَإِنَّ هَـؤُلاءِ الثَّلاثُ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ) أي دليلها، وقد ذكر هذه الكلمة العلامة ابن القيم- رحمه الله- في مقدمة الوابل الصيب، والبرهان على أنَّ هذه الثلاث عنوان السعادة: أنَّ العبد يدور حاله بين النعمة والمصيبة والذنب لكن تكمن سعادته في الشكر والصبر والاستغفار، ويظهر ذلك بأنَّ الشكر سبب لزيادة النعمة وسبب للثواب عليها يوم القيامة ، وأنَّ الصبر يخفف المصيبة في الدنيا، وهو سبب للثواب يوم القيامة والاستغفار سبب لمحو الذنب في الدنيا، وستره ، وعدم العقوبة عليه، وهو سبب لأن تبدل السيئات حسنات يوم القيامة.

وأي عبد أسعد ممن زاد الله نعمته ، وخفف مصيبته ، وغفر زلته ، وستر عورته .

ويلحظ من قرأ في كتب الإمام – رحمه الله- أنه يفتتحها بالدعاء ويكرره في تضاعيف الكتاب، ونستفيد من ذلك: محبتُه الخيرَ للناس – رحمه الله- ، وأنَّ الداعية إلى الله ينبغي عليه أن يتّصفَ بهذه الصفة، وأن يُشعر من يدعوه أنَّه يحب له الخير، وهذا من أعظم الأسباب التي تدعو المعاند للاستجابة بعد توفيق الله .

قوله: (اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ) اعْلَمْ: كلمة يؤتى بها للتنبيه على أهمية ما بعدها كقوله تعالى :﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾[سورة البقرة]. فمعناها انتبه لهذا الأمر ، لا أنك تجهله ، وكذلك المعنى في الآية انتبهوا لهذا الأمر العظيم وهو معية الله لأهل التقوى .

( أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ ): جملة اعتراضية دعائية، معناها : وفقك الله للطاعة علماً وعملاً، وهذه هي الهداية التامة.

(أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ) : من الحَنَفْ وهو لغة: الميل، وشرعاً : حدها المصنف بأن تعبد الله وحده مخلصا له الدين .وقيل هي الإقبالُ على الله والإعراض عمن سواه.
(مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ) : عطف بيان على الْحَنِيفِيَّةَ ، ومعناها عقيدته ودينه.
(إِبْـرَاهِيمَ): أبـو الأنبيـاء، وقـدوة الحنفـاء، خليـل الـرحمن عليـه وعلـى نبينـا الصـلاة والسلام .

قولـه:( أَنْ تَعْبُـدَ اللهَ وَحْـدَهُ مُخْلِصـاً لَـهُ الـدِّينَ) أَنْ: مصـدرية، والمصـدر المؤول خبر (أنَّ)، والتقدير: أنَّ الحنيفيةَ ملةَ إبراهيم عبادةُ اللهِ وحدَهُ.(وَحْدَهُ) أي: منفرداً، وهي حال من الاسم العظيم (مُخْلِصاً ): أيضاً حال من فاعل تعبد.
والإخلاصُ لغةً: التصفيةُ، والخالص الصافي وشرعاً: قصد وجه الله بالعبادة .
و (الدِّينَ): هنا هو العمل ، قال تعالى:﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ ﴾ [سورة النور:٢٥] أي: عملهم.
كَمَـا قَـالَ تَعَـالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الـذاريات] الكاف للتعليل وليست للتشبيه، أي: لأنَّ الله قال : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ، ( ما) : نافية ،( خلقت): الخلق: هو الإيجاد من العدم على غير مثـال سـابق ،( الجـن): مخلوقـون مـن نـار.قـال تعـالى﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحجـر] وسمـوا جِنَّـاً لاسـتتارهم؛ لأنَّ مـادة الجـيم والنـون المشـددة أصـل حقيقتهـا الاسـتتار (والإنـس) : هـم البشـر سمـوا إنسـاً ؛ لأنهـم يـأنس بعضـهم لبعض( إلا): حـرف اسـتثناء،( ليعبـدون): الـلام: لام التعليـل ، يعبـدون: التعبـد هـو التذلل لله بفعل أوامره وترك نواهيه والنفي مع الاستثناء يفيد الحصر فمعنى الآية: أنَّ الله لم يخلق الجنَّ والإنسَ لشيءٍ غير العبادة .

قوله: ( فَإِذَا عَرَفْتَ) من الآية السابقة (أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ ) بل عرفتُ منها أنه لم يخلقني لشيء غير العبادة .

قوله:(فَاعْلَمْ أَنَّ الْعِبَادَةَ لا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلا مَعَ التَّوْحِيدِ ) لأن التوحيد شرطٌ في العبادة وقد تقرر أنَّ الشرط يلزم من عدمه العدم، فعدم التوحيد يعني عدم العبادة، ولو وجدت في الواقع بدونه، فإنه لا اعتبار لها؛ لأن المعدوم شرعاً كالمعدوم حساً، وهذه قاعدة دليلها نفي النبي عليه الصلاة والسلام صلاة المسيء صلاته مع وجودها منه في الواقع: فقال عليه الصلاة والسلام " إنك لم تصلِّ " رواه الجماعة فمن عبد الله وعبد غيره لم يعبد الله

التوحيد لغة : مصدر وحَّدَ يُوَحِّدُ توحيداً ، إذا اعتقد وحدانية الله ، وشرعاً : إفراد الله بما اختصَّ به.

قوله:(كَمَا أَنَّ الصَّلاةَ لا تُسَمَّى صَلاةً إِلا مَعَ الطَّهَارَةِ ) هذا مثال لتقرير ما سبق من الكلام، واختار هذا المثال خاصة؛ لأنه من الثوابت عند المخالف فمن صلى بغير طهارة نستطيع أن نقول إنه لم يصلِّ؛ لأن الطهارة شرط في الصلاة ، وعدم الطهارة يعني عدم الصلاة ، ولو وجدت في الواقع.

قوله رحمه الله:( فَإِذَا دَخَلَ الشِّرْكُ فِي الْعِبَادَةِ فَسَدَتْ) فإذا كان الشرك أصغر فسدت وحدها، وأما إذا كان الشرك أكبر فإنه يفسدها وما سواها من العبادات .

قوله رحمه الله :( كَالْحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ ) هذا المثال ليس تكراراً للمثال السابق ؛ لأنا نستفيد من المثال السابق أن من عبد الله من غير توحيدٍ لم يعبد الله، ومن هذا المثال نستفيد أن الموحد إذا وقع في الشرك فسدت عبادته، وهذا المثال من الثوابت عند المخالف أيضاً والتشبيه من المصنف للشرك بالحدث في

الإفساد فقط لكن الشرك أعظم إفسادا من الحدث، فالحدث يفسد الصلاة وحدها، والشرك يفسد العبادات كلها .

قوله: ( فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ الْعِبَادَةَ أَفْسَدَهَا، وَأَحْبَطَ الْعَمَلَ) أي: أنه أفسد العبادة التي خالطها وأبطل ما سواها من العمل فهاتان مفسدتان عظيمتان من مفاسد الشرك دليلهما قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥]، قوله : ( وَصَارَ صَاحِبُهُ، مِنَ الْخَالِدِينَ فِي النَّارِ ) هذه مفسدة ثالثة دليلها قوله تعالى:﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [سورة المائدة: ٧٢ ].

قوله: ( عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ )هذا جوابُ الشرط المتقدم؛ وهو قوله إذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة...إلخ ، أي: إذا عرفت ما يترتب على الشرك من المفاسد العظيمة، عرفت أنّ أهم شيء عليك أنْ تعرفه هو الشرك ؛ لتسلم من هذه المفاسد العظيمة.

قوله: (لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ) أي نرجو الله أن يخلصك من الشرك بمعرفتك له، فمعرفة الشرك من أسباب الخلاص منه، كما في حديث حذيفة: "كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني " متفق عليه . فالمخَلِّصُ منه هو الله ، والمعرفة سبب في الخلاص منه ، وأطلق على الشرك اسم الشبكة لما بينهما من وجوه الشبه التالية :

الأول: تيقن هلاك من لم يتخلص منهما. الثاني: خفاؤهما . الثالث: عُسْر التخلص منهما إن أمكنه ذلك.

قوله:(وَهِيَ الشِّرْكُ بِاللهِ) الشرك لغة : النصيب، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ ﴾ [سورة سبأ: ٢٢] وشرعاً : هو مساواة غير الله بالله فيما هو من خصائص الله، ودليل هذا التعريف قوله تعالى :﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [سورة الشعراء].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: " قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: " أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ" قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: " أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ" قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ:" أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ" فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقَ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ولا يزنون ﴾ [الفرقان: ٦٨] " [متفق عليه].

قوله رحمه الله: ( الَّذِي قَالَ الله تَعَالَى فِيهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[النساء: ١١٦] هذه مفسدة رابعة من مفاسد الشرك، وهي: القطع بأنَّ الله لا يغفر لمن مات عليه أما من مات على غيره من الذنوب فهو تحت مشيئة الله ، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له ولا يخلد في النار.

قوله – رحمه الله – :(وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ) أي معرفة الشرك تكون بمعرفة أربع قواعد، والقواعد جمع قاعدة وهي لغة الأساس، والمراد بها هنا الأصول التي متى ما عرفها العبد عرف الشرك.

قوله رحمه الله:(ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ)أي أن مصدر هذه القواعد كتاب الله .

الْقَاعِدَةُ الأُولَى :

قوله:(الْقَاعِدَةُ الأُولَى: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ الْخَالِقُ، الرَّازِقُ، الْمُدَبِّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الإِسْلامِ).

مقصود الإمام من هذه القاعدة أن يبين أن لا إله إلا الله ليس معناها لا خالق إلا الله وبرهان ذلك أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم – يعتقدون ألا خالق ولارازق ولا مدبر إلا الله ولم يدخلهم هذا الاعتقاد في الاسلام لأن دخول الاسلام يكون باعتقاد ألا إله إلا الله فتبين أن ليس هذا هو معناها ؛ فإن هذا المعنى لم ينازع فيه مشركو مكة بل لم ينازع فيه إبليس قال تعالى ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة الأعراف]

قال الإمام – رحمه الله- :(والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس] أي الدليل على أن مشركي مكة كانوا يعتقدون ألا خالق ولا مالك ولا مدبر إلا الله قوله تعالى (قل): الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام، استفهم مشركي مكة، من الرازق؟ ومن المالك؟ ومن المدبِّر؟ وإنما أمره الله جلَّ وعلا أن يسألهم لإقرارهم بأن الله هو الرازق المالك المدبِّر، فيحتج عليهم بما يعترفون به على ما ينكرونه؛ أي إذا كان الله هو الخالق الرازق المالك المدبر وحده أفلا تتقون عبادة غيره.

ومن هنا يستفيد الداعية إلى الله تعالى أهمية الكلام عن توحيد الربوبية كمقدمة وحجة لتوحيد الألوهية؛ وذلك لأنّ توحيدَ الربوبية مفطورٌ عليه الناس ولا أحد ينازع فيه إلا مكابرة ، ثم ينتقل الداعية إلى توحيد الألوهية الذي وقع فيه النزاع ، فقد جعل

القرآن توحيد الربوبية برهاناً ووسيلة إلى توحيد الألوهية، فلا يحسن بالداعية أن يتكلم عن توحيد الربوبية فقط ولايسوق المدعو إلى الغاية وهي توحيد العبادة ، كما أن من دعا إلى توحيد الألوهية دون تعظيم الرب سبحانه وتعالى وذِكرِ أفرادِ ربوبيته فقد غفل عن أسلوب نافع ومؤثر ويكفي في ذلك أنه أسلوب القرآن .

وقد أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقرر هذا المعنى في نفوس المشركين على وجه الاستفهام لينكر عليهم عبادة غيره في عدة آيات من سورة المؤمنون ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [ سورة المؤمنون]

قال ابن كثير عند قوله : (أفلا تذكرون) : " أَنَّهُ لَا تَنْبَغِي الْعِبَادَةُ إِلَّا لِلْخَالِقِ الرَّازِقِ لَا لِغَيْرِهِ. ثم قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [سورة المؤمنون] ، قال ابن كثير : " وَقَوْلُهُ: (سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ) أي: إذا كنتم تعترفون بأنه رب السموات وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، أَفَلَا تَخَافُونَ عِقَابَهُ وَتَحْذَرُونَ عَذَابَهُ، فِي عِبَادَتِكُمْ مَعَهُ غَيْرَهُ وَإِشْرَاكِكُمْ بِهِ؟" ثم قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [سورة المؤمنون] ، قال ابن كثير: "وَقَوْلُهُ: (سَيَقُولُونَ لِلَّهِ) أَيْ: سَيَعْتَرِفُونَ أَنَّ السَّيِّدَ الْعَظِيمَ الَّذِي يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ، هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ (قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ) أَيْ: فَكَيْفَ تَذْهَبُ عُقُولُكُمْ فِي عِبَادَتِكُمْ مَعَهُ غَيْرَهُ مَعَ اعْتِرَافِكُمْ وَعِلْمِكُمْ بِذَلِكَ." أ.هـ.

ما أظهر هذه البينات وما أوضح هذه الآيات ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء .

الْقَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ :

هذه القاعدة جواب لسؤال مقدر وهو: إذا كان مشركو مكة مقرين بأن الله هو الخالق المالك المدبِّر لماذا عبدوا غيره؟ فكانت هذه القاعدة جواباً لهذا السؤال وهي: قوله: (أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ) الْقُرْبَةِ: هي المنزلة و الوسيلة .

قوله: ( فَدَلِيلُ الْقُرْبَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾[سورة الزمر] )

أي:إنما نعبد هذه الآلهة لتكون واسطةً بيننا وبينَ اللهِ، وإنَّما أوقعهم في هذا قياسُهم الخالق على المخلوق وهذا من أفسد الأقيسةِ ؛ لأن الله عزَّ وجل لا يحتاج إلى واسطة، والذي يحتاج من الملوك إلى واسطة فهو إما جاهلٌ فيحتاج إلى من يطلعه على رعاياه، وإما ضعيف الرحمة فيحتاج إلى من يسترحمه، وإما عاجزٌ يحتاج إلى من يعينه، أمَّا الله جل وعلا فلا يقاس بخلقه فقد وسع كل شيء رحمة وعلماً، وهو على كلِّ شيء قدير .

قوله: ( وَدَلِيلُ الشَّفَاعَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[يونس: ١٨])

الشفاعة لغة: جعل الواحد اثنين، وشرعاً: هي التوسط للغير بجلب الخير أودفع الضير.

قوله:( وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ)

أي: أن الشفاعة في القرآن نوعان:

١- (شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ ) أي: نفاها القرآن. ٢- (شَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ ):أي: أثبتها القرآن.

وبما أنَّ القرآن لا يتناقض علمنا أن الأولى غير الثانية.

قوله:(فَالشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللهِ فِيمَا لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إلا اللهُ) هذا تعريف الشفاعة المنفية، فإنَّ غير الله لا يملك الشفاعة فكيف يطلب منه ما لا يملك؟ قال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـًٔا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ [سورة الزمر].

قوله:( وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾ [سورة البقرة]

هذا مثال للشفاعة المنفية ، وهو أنَّ الكفار لا تنالهم الشفاعة لأنهم لم يستوفوا شروطها.

قوله:(وَالشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ: هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللهِ )

هذا تعريف للشفاعة المثبتة وهي التي لا تطلب إلا من الله لأنه لا يملكها إلا هو ، ولها شرطان: الأول: الإذن للشافع. الثاني: الرضا عن المشفوع له.

ودليل هذين الشرطين قوله تعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة النجم].

قوله:( وَالشَّافِعُ مُكْرَمٌ بِالشَّفَاعَةِ) هذا كالتعليل لما سبق، أي إذا كان الله جل وعلا هو الذي يملكها، فما هي فائدة الشفاعة ؟ فالجواب: أن يظهر الله جل وعلا إكرام الشافع ومنزلته بالشفاعة.

قوله:( وَالْمَشْفُوعُ لَهُ مَنْ رَضِيَ اللهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الإِذْنِ) وإنما يرضى الله عمل الموحد وقوله لا غير كما في حديث أبي هريرة قال: قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من قال لا إله إلاّ الله خالصاً

من قلبه " رواه البخاري وعن ابن عباس قال : قال رسول الله :صلى الله عليه وسلم " أعطيت الشفاعة وهي نائلة من لا يشرك بالله شيئاً" [رواه ابن أبي عاصم وصححه الألباني].

قوله – رحمه الله – : (كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٥]

هذا الاستفهام بمعنى النفي، أي: لا أحد يشفع عند الله إلا بعد أن يأذن الله، وهذا لكمال سلطانه، فإنَّ الوزراء والعظماء يشفعون عند الملوك دون إذنهم ؛ لحاجة الملوك إليهم لتثبيت ملكهم أو للمنِّة عليهم بالنعم الحاصلة لهم من قبل.

والشفاعة المثبتة ستة أنواع: ثلاثة منها يختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دون سائر الخلق وثلاثة له ولسائر الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين.

فأما التي يختص بها الرسول صلى الله عليه وسلم فهي:

الأولى : الشفاعة العظمى وهي المقام المحمود وتكون لأهل الموقف حين يستشفعون به ليقضي الله بينهم . ودليلها حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولافخر، وما من نبي يومئذ؛ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر،: فيفزع الناس ثلاث فزعات، فيأتون آدم فيقولون: أنت أبونا آدم فاشفع لنا إلى ربك، فيقول: إني أذنبت ذنباً أهبطت منه إلى الأرض، ولكن ائتوا نوحاً؛ فيأتون نوحاً فيقول إني دعوت على أهل الأرض دعوة فأهلكوا، ولكن اذهبوا إلى إبراهيم؛ فيأتون إبراهيم فيقول إني كذبت ثلاث كذَبات ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: – ما منها كذبة إلا ما حل بها عن دين الله– ولكن ائتوا موسى، فيأتون موسى فيقول إني قد قتلت نفساً، ولكن ائتوا عيسى، فيأتون عيسى فيقول إني عُبِدْتُ مِن دون الله، ولكن ائتوا محمداً، قال فيأتونني فأنطلق معهم، قال ابن جُدعان: قال أنس: فكأني أنظر إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها فيقال من هذا؟ فيقال محمد فيفتحون لي ويرحبون بي، فيقولون مرحباً فأخر ساجداً فيلهمني الله من الثناء والحمد، فيقال لي ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تشفع ، وقل يسمع لقولك، وهو المقام المحمود الذي قال الله: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ۝٧٩ ﴾ [سورةالإسراء]" [أخرجه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني ].

الثانية :شفاعته لأهل الجنة حتى يدخلوها، و يدل عليها قوله صلى الله عليه وسلم :" «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك» . رواه أحمد ومسلم

الثالثة : شفاعته في عمّه أبي طالب وفيها حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذُكر عنده عمه أبو طالب ، فقال: " لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه " متفق عليه. فهذه الشفاعة خاصة بأبي طالب فليس لمشرك في الشفاعة نصيب.

أما الثلاثة العامة:

فالأولى : شفاعتهم في رفع درجات أهل الجنة لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ۝٢١ ﴾[سورة الطور] . وروى ابن جرير بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية قال: إن الله ليرفع ذرّية المؤمن إليه في درجته ، وإن كانوا دونه في العمل.

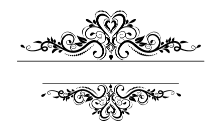
الثانية : شفاعتهم فيمن استحق النار من أهل التوحيد ألا يدخلها.

استدل له جماعة من أهل العلم بحديث الشفاعة الطويل وفي بعض رواياته " ونبيكم قائم على الصراط يقول ربِّ سلِّم سلِّم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا قال وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس في النار ".

الثالثة : شفاعتهم في من دخل النار من أهل التوحيد أن يخرج منها.

فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إذا خلص المؤمنون من النار يوم القيامة وأمِنوا، فما مجادلة أحدكم لصاحبه في الحق يكون له في الدنيا بأشد مجادلة له من المؤمنين لربهم، في إخوانهم الذين أدخلوا النار قال: يقولون: ربنا ! إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا و يحجون معنا، فأدخلتهم النار. قال: فيقول: اذهبوا فأخرجوا من عرفتم ، فيأتونهم، فيعرفونهم بصورهم، لا تأكل النار صورهم، فمنهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من أخذته النار إلى كعبيه، فيخرجونهم، فيقولون: ربنا !أخرَجنا مَن أمرتنا. ثم يقول: أخرجوا من كان في قلبه وزن دينار من الإيمان، ثم من كان في قلبه وزن نصف دينار من الإيمان، حتى يقول : من كان في قلبه مثقال ذرة – قال أبو سعيد : فمن لم يُصدِّق بهذا فليقرأ هذه الآية : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء] قال: فيقولون : ربنا ! قد أخرجنا من أمرتنا، فلم يبق في النار أحد فيه خير. قال: ثم يقول الله: شفعت الملائكة وشفع الأنبياء وشفع المؤمنون وبقي أرحم الراحمين. قال: فيقبض قبضة من النار – أو قال: قبضتين – ناساً لم يعملوا لله خيراً قط، قد احترقوا حتى صاروا حُمماً. قال : فيؤتى بهم إلى ماء يقال له: ماء الحياة فيصب عليهم، فينبتون كما تنبت الحِبَّة في حميل السيل، فيخرجون من أجسادهم مثل اللؤلؤ، في أعناقهم الخاتم: عتقاء الله، قال: فيقال لهم: ادخلوا الجنة، فما تمنيتم أو رأيتم من شيء فهو لكم، عندي أفضل من

هذا.قال : فيقولون : ربنا ! وما أفضل من ذلك ؟ قال: فيقول: رضائي عليكم، فلا أسخط عليكم أبداً " . أخرجه أحمد والنسائي وصححه الألباني.



الْقَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ:

و هذه القاعدة أيضاً جواب عن سؤال مقدَّر يحتج به من وقع في الشرك في هذا الزمان وهو: أن المشركين الأوائل إنما اتخذوا الأصنام واسطة بينهم وبين الله، ونحن إنما ندعو الصالحين، فكيف تساوون بين الأصنام والصالحين؟ فجاءت هذه القاعدة جواباً لهذا السؤال وهي:

قوله:( أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ظَهَرَ عَلَى أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ)

أي: خرج على أناس مختلفين في معبوداتهم

قوله:( مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْمَلائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَشْجَارَ وَالأَحْجَارَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ)

أي لم يفرق بينهم في الحكم لتفرُّق آلهتهم، فلم يفرق بين من عبد الملائكة ومن عبد الأشجار والأحجار؛ لأنهم جميعاً عبدوا غير الله ، بل قاتلهم جميعاً.

(وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾[سورة الأنفال: ٣٩]) أي: حتى لا يكون شركٌ، ( ويكون الدين كله لله ) أي يكون التعبد لله وحده ؛ وهذا دليلٌ إجمالي أورده الإمام محمد بن عبد الوهاب على أنه لا فرق بين المشركين لتفرق آلهتهم فهم يستوون في عبادة غير الله مع الله، وسيذكر الإمام رحمه الله الأدلة التي تدل على أن كل مَنْ عبدَ واحداً مِنْ هذه الآلهة المتفرقة فهو مشرك .

قوله : ( وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ) أي الدليل على عبادة بعض المشركين الشمس والقمر وبطلان تلك العبادة (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ

وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سورة فصلت]) أي : من آياته الدالة على وحدانيته وكماله، انتظام الليل والنهار، وانتظام الشمس والقمر، وعدم وجود خلل في نظامهما . وآيات الله نوعان آيات كونية وهي مخلوقات الله العظيمة ومنها الليل والنهار والشمس والقمر، وآيات غير مخلوقة وهي كلامه فهي صفة من صفاته.

قوله (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) لأنها مخلوقة مملوكة لله، وهذا بيانٌ لعجزها ونقصها ،( واسجدوا لله الذي خلقهن) هذا بيان لكماله الذي هو برهانٌ على إفراده بالعبادة.قوله: (إن كنتم إياه تعبدون)هنا شرطية وكنتم إياه تعبدون جملة الشرط وجملة جواب الشرط محذوفة دلَّ عليها الكلام المتقدم والتقدير إن كنتم إياه تعبدون فلا تعبدوا معه غيره ؛ لأن عبادته لا تحصل إلا بترك عبادة غيره، فمن عبد الله وعبد معه غيره لم يعبد الله لفوات شرط التوحيد والشرط يلزم من عدمه العدم.

قوله: (وَدَلِيلُ الْمَلائِكَةِ)أي الدليل على عبادة بعض المشركين الملائكة وعلى بطلان عبادتهم ، ( قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًاۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[ سورةآل عمران] (أربابا) أي: آلهة.( أيامركم بالكفر) الاستفهام هنا أنكاري أي كيف يأمركم الله بالكفر الذي هو عبادة الملائكة والنبيين .

قوله : (وَدليل الأنبياء) أي الدليل على عبادة بعض المشركين الأنبياءَ وبطلان عبادتهم، (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي

وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [سورة المائدة])الآية السابقة كانت كافية لدلالتها على النهي عن عبادة الملائكة والنبيين، لكنَّا عهدنا من منهج الإمام تكثير الأدلة .

(وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ) أي: أن الله سائلٌ عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة و السلام هل أمر الناس أن يعبدوه وأمه من دون الله ؟، فإذا توجه هذا السؤال لعيسى وهو كلمة الله وروحه، وأمه صديقةٌ فغيره أولى بذلك !(قال سبحانك)أي: أنزهك أن أكون أنا وأمي شريكين لك .( ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق): أي: ما ينبغي لي أن أقول الباطل وهو أن آمر الناس بعبادتي وأمي وليس لي حق في ذلك ؛ فإن العبادة محضُ حقِّ الله تعالى.

قوله : (وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ) والدليل على عبادة بعض المشركين للصالحين وعلى بطلان عبادتهم.

( قَوْلُــهُ تَعَــالَى:﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾[الإسـراء: ٥٧]) : ( أولئك)اسم إشارة،( الذين): اسم موصول.وجملة( يدعون): صلة الموصول، والعائد محذوف، والتقدير: أولئك الذين يدعونهم.(يبتغون إلى ربهم الوسيلة) أي: يطلبون حاجتهم من الله إذا قلنا أنَّ الوسيلة بمعنى الحاجة . وإذا قلنا الوسيلة بمعنى المنزلة أي يطلبون التقرب إليه والمنزلة عنده فعلى المعنى الأول أولئك الذين يدعونهم يطلبون حاجاتهم من الله وهذا بيان لنقص هذه الآلهة، وهو برهان على بطلان عبادتها، فكيف

يفتقرون إلى الفقير ؟! وعلى المعنى الثاني أولئك الذين يعبدونهم ويتقربون إليهم ، يعبدون الله ويتقربون إليه فكيف يعبدون العبيد ؟!

قوله: (أيهم أقرب)أي: يتنافسون في التقرب إلى الله فهذه من صفات الصالحين المعبودين مع الله قوله: ( ويرجون رحمته ويخافون عذابه) وهذه أيضاً من صفات هؤلاء الصالحين وأنهم أهل رجاء وخوف من الله تعالى فصلاحهم الثابت بشهادة الله تعالى لم يبح عبادتهم مع الله .

وهنا مسألة وهي إياك أن تضيع وقتك مع من يعبد غيرالله لتبرهن له عدم صلاح شيخه الذي يعبده مع الله وفي ذلك مفسدتان الأولى أن القلوب جبلت على النفرة ممن يذم المعظم عندها كالوالد والشيخ وبنفيك صلاح شيخه تكون قد سددت قلبه من سماع كلامك وباعترافك بصلاحه ولو تنزلا تفتح قلبه لقبول كلمة التوحيد .

والمفسدة الثانية أنك لو أثبت له عدم صلاح شيخه واقتنع بذلك ثم مات قبل أن تبين له التوحيد لمات الرجل مشركا .

قوله :(وَدَلِيلُ الأَشْجَارِ وَالأَحْجَارِ) أي الدليل على عبادة المشركين الأشجار والأحجار، وبطلان عبادتها (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾[سورة النجم]) ( أفرأيتم)الهمزة للاستفهام، وهو هنا للاستخفاف والاحتقار، والفاء: عاطفة، فهذه الجملة معطوفة على الآيات قبلها وهي آيات دالة على عظمة الله وقدرته المطلقة ليعلم العاقل الفرق بين الله جل وعلا الذي اتصف بكل كمال وهذه الآلهة التي لا تملك شيئاً.

( اللات): إذا قُرِيء -بتخفيف اللام والتاء- فهو مأخوذ من اسم الله، وإذا قُرِيء -بتشديد اللام والتاء- فهو رجلٌ كان يلُتُّ السويق؛ وعلى كلا المعنيين فهو صنم من الحجر عُبِد مع الله.

( والعزى )مؤنث أعز فهي مشتقة من العزيز، وهي ثلاث شجرات من السَّمُر.

( ومناة) قيل: مشتقة من المنان، وقيل: سُميت كذلك لكثرة ما يُمنىَ عليها من الدماء، وهي صخرة أيضاً.

قوله: رحمه الله: (عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اَللَّيْثِيِّ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اَللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ! وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكفُونَ عِنْدَهَا وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ! فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اَللَّهِ اِجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ فَقَالَ رَسُولُ اَللَّهِ:"الله أَكْبَرُ! إِنَّهَا اَلسُّنَنُ! قُلْتُمْ — وَاَلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ -كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ [سورة الأعراف: ١٣٨] لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أخرجه الترمذي (٢١٨٠)،وصححه الألباني

أي من الأدلة على عبادة الأشجار حديث (أَبِي وَاقِدٍ اَللَّيْثِيِّ): وهو الحارث بن عوف.(وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ) أي: قريبٌ عهدنا بالكفر، وهذا كالاعتذار لهم ؛ لأنهم جهلوا المسألة وحكمها

(وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكفُونَ عِنْدَهَا) العكوف: هو الملازمة على وجه التعظيم والقربة.

(وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ) أي: يعلقون بها أسلحتهم ، وليس هذا تعليقا محضا بل يصحبه تعلق القلب بالشجرة في جلب النفع ودفع الضر .

ومن ذلك قال الشاعر:

بلادٌ بها نِيْطَت عليَّ تمائمي *** وأول أرضٍ مسَّ جلدي تُرابُها

أي أنهم يلازمون هذه الشجرة تعبداً لها ويعلقون أسلحتهم بها رجاء بركتها ونصرتها فهم قد صرفوا لهذه الشجرة أنواعاً من القرب والعبادات وهي العكوف وطلب البركة والنصرة منها.

(فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اَللَّهِ اِجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ)): قالوا هذا حرصاً على البركة وطلباً لها، لكنهم لم يَقْدِموا على ذلك حتى رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففيه الرجوع إلى الكتاب والسنة في طلب البركة .

(اَللَّهُ أَكْبَرُ ! ) أي الله أكبر من كل شيء ومن أن يكون له شريك من خلقه، وفي رواية: (سبحان الله) أي تنزه الله عن كل نقص و منه أن يكون له شريك من خلقه.وفيه: التسبيح أو التكبير عند التعجب.

(إِنَّهَا اَلسُّنَنُ!) أي: الطرق المسلوكة من قبل. (وَاَلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ) الواو: واو القسم، والمراد: أن نفسه بيد الله من جهة إماتتها وإحيائها وتدبيرها وتصريفها. وفيه القسم على الفتوى، إن تأكد من إصابة الحق، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم مملوك لله مربوب له ، وفيه استحضار عظمة الله عند القسم ، وفيه جواز القسم وإن لم يُستَقسم .

(كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى (( اِجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ، قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ) أي: أن طلبهم لسدرة يتبركون بها، ويعكفون عندها كطلب بني إسرائيل هذا، ولو فعلوا لأشركوا، لكنهم لم يكونوا ليتعمدوا مخالفة هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.( لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ) أي: لتتبعن طرق ومناهج السابقين ، وهذا خبرٌ المراد منه الإنشاء وهو هنا النهي أي لا تتبعوا سنن من كان قبلكم .

وفي هذا الحديث من الفوائد:

الأولى : آفة الجهل وأنه سبب للشرك.

الثانية: أن المقاصد الحسنة ليست عذراً في مخالفة الحكم الشرعي.

الثالثة : أن الاعتبار بالحقائق والمعاني لا بالألفاظ والمباني؛ لأنهم طلبوا شجرةً يعظمونها ويتبركون بها، فهو كطلب بني إسرائيل إلهاً، فتسمية عباد القبور لعبادتهم توسلاً ومحبة للصالحين لا يخرجها عن كونها شركاً؛ فإذا كان اتخاذ الشجرة للعكوف عندها وتعليق السلاح بها رجاء نصرتها اتخاذاً لإلهٍ مع الله، فكيف بما أحدث الناس من الاستغاثة بغير الله !

الرابعة : أن ما يفعله الناس اليوم من التمسح والتبرك بالأشجار والأحجار والقبور هو عين الشرك.

الخامسة : فيه عَلم من أعلام النبوة لوقوع ما أخبر به من اتباع سنن اليهود والنصارى.

السادسة : أنَّ التبرك بالأشجار والأحجار يقدح في التوحيد إن لم ينقضه.

الْقَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ:

بعد أن قرر –رحمه الله تعالى- في القاعدة الأولى أن مشركي مكة فهموا لا إله إلا الله فأبوا أن يقولوها، ولم يفهمها من وقع في الشرك في هذا الزمان فنطق بها مع وقوعه في الشرك الصريح، وفي القاعدة الثانية بين أن حجة مشركي مكة ومشركي هذا الزمان واحدة، وهي أنهم لا يعبدون الأصنام وإنما يتوسلون بها إلى الله وقال هؤلاء إنا لا نعبد الصالحين إنما نتوسل بهم إلى الله وفي القاعدة الثالثة برهن أنه لا فرق بين من عبد الصالحين ومن عبد الأحجار؛ فكانت النتيجة مساواة مشركي هذا الزمان لمشركي الزمان الأول، ثم أضرب –رحمه الله- عن هذا المعنى الذي أثبته بالأدلة والبراهين فقال: بل ( أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانَنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِينَ، لأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ، وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُو زَمَانَنَا شِرْكُهُمْ دَائِمٌ فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة العنكبوت ].وإنما كانوا أغلظ شركا من الأوليين لأن تعلقهم بآلهتهم ثابت في كل حال مما يدل على شدة تعلقهم بها وإخلاصهم لها . وهذا المعنى متقرر في مواضع كثيرة من الكتاب العزيز لمن يتتبع ذلك في غير هذا الموضع قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الأنعام]

وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [سورةالأنعام]

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟

أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾[سورة يونس] وقال تعالى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [سورة النحل]وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [سورة الإسراء]

وقال تعالى :﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [سورة النمل]

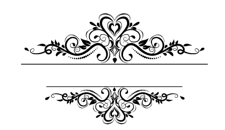
وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [سورة لقمان]

وقال تعالى :﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ ﴾ [ سورة الزمر]

**تنبيه:** إذا تقرر هذا عندك أيها المسلم الكريم فإنَّ من وقع في الشرك في هذا الزمان أسهل جدالاً ومناظرة من السابقين، وذلك لإيمانهم بالكتاب العزيز وباليوم الآخر.

وَاللهُ أَعْلَمُ. وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

- تم بحمد الله وتوفيقه الفراغ من إملاء شيخنا المِفْضال أبي عبد الله عمر بن محمد علي بن محمد خير –حفظه الله– لشرحه للقواعد الأربع، للإمام المجدد شيخ الإسلام: محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله– بقلم وليد بن الفكي بن إبراهيم، وذلك في ليلة لخميس ١١/ربيع الأول/ ١٤٣٤ الموافق ٢٣/١/ ٢٠١٣م وذلك بمنزله بالفادني – شرق النيل/ السودان.



مسرد الموضوعات